العلاقات الليبية التونسية
عبر التاريخ

obeikandl.com

obeikandl.com

تونس أو كما كانت تسمى أفريقيا كانت على مدى التاريخ هى جزء من ليبيا، وكانت مناطق طرابلس جزء من تونس. كان ذلك أيام قدوم الفينيقيين وأسسوا عاصمتهم «قرطاجنه»، وامتدت إدارتهم إلى طرابلس ولبده وصبراته ونشروا ثقافتهم وحروفهم العربية القديميه «الفينيقيه» فى المنطقة.

وكانت ليبيا جزء من تونس فى أيام مملكة نوميديا، والحروب البونيقيه، وسار الليبيون مع هانيبال فى حروبهم ومهاجمته إلى روما، كما خاضوا معه حروبه فى الصحراء وبرز منهم قادة عظام فى هذه الحروب، أمثال القائد كاباون الذى سميت باسمه بلدة كاباو فى الجبل الغربى، واشتهرت هذه الحروب فى التاريخ ويذكر المؤرخون أيضاً الحرب الاغريقية الفينيقية على الحدود عندما احتل الاغريق برقه، وأخيراً اتفقوا على أن ينطلق اثنان فينيقيان من قرطاج، وينطلق اثنان من الاغريق من قورينا «شحاتِ» والمكان الذى يلتقوا فيه يكون الحد الفاصل بين الدولتين، وصادف أن انطلق اخوان من قرطاج يقال لهما «أبناء فلّينى»، وانطلق اثنان من قورينا، وكان الفينيقيون يجرون ليلاً ونهاراً، ولكن الاغريقيان كانا يسيران على مهلهما إلى أن التقيا فى منطقة «القوس» بين برقه وطرابلس، ورفض الاغريق الاتفاق لقولهم إن الفينيقيين قد يكونا ركبا باخرة أو خيول أو غيرها لأنهما قطعا مسافة كبيرة.

واحتدم الجدال بين الفريقين وأخيراً اقترح الأخوة الفينيقيان بأن يتم دفنهما أحياء فى هذا المكان ويكون هو الحد الفاصل بين الدولتين، أو يرضى الاغريقيان بدفنهما أحياء فى أى مكان يختارانه ليكون الحد الفاصل بين الدولتين.

رضى الاغريق بالاقتراح ودفن الفينيقيان أنفسهما أحياء فى ذلك المكان، وأصبح الحد الفاصل بين قرطاجنه وبين قورينا.

وتخليداً لذكرى هذه التضحية الوطنية قام الإيطاليون عند احتلالهم لليبيا بنصب «قوس» كبير يحتضن الطريق بين طرابلس وبنغازى، ونصبا تمثالين للاخوين فلينى يستندان فى أعلى القوس، وأصبح ذلك القوس هو الحد بين برقه وطرابلس أيام الإدارة البريطانية، وحتى أيام الولايات فى المملكة الليبية.

واستمرت العلاقات الليبية التونسية على مدى التاريخ بين تقارب لدرجة الاندماج، وبين انقطاع كل دولة على حدة إلى أن جاء العرب الفاتحين.

وصل عقبة بن نافع إلى تونس وأسس مدينة القيروان عاصمة للدولة الإسلامية العربية فى شمال أفريقيا، تنطلق منها الجيوش للفتوحات مندمجة شعوب المنطقة فى هذه الجيوش، برز منها طارق بن زياد الليبى من مدينة الخمس ومن قبيلة «نفزه».

وبرز منها مئات من الأبطال المجاهدين الذين اجتازوا مضيق جبل طارق وفتحوا الأندلس، وقبل ذلك فتحوا بلدان المغرب الأقصى.

وعندما زحف الفاطميون من تونس باتجاه مصر أخذوا معهم آلاف الجنود بعائلاتهم وبقبائلهم من المغرب العربى تونس والجزائر وليبيا، وحققوا بها فتوحاتهم وانتصاراتهم وتشييدهم للقاهرة والجامع الأزهر والقضاء على القرامطة فى الشام والجزيرة العربية، وارجاعهم للحجر الأسود إلى الكعبة، وتهجيرهم إلى قبائل بنى هلال وبنى سليم إلى مصر، ومنها إلى الشمال الأفريقى.

وكانت الحروب الصليبية التى انطلقت من أوروبا باتجاه فلسطين وبيت المقدس شملت شمال أفريقيا وخاصة بعد سقوط الأندلس، والاندفاع الإسبانى باتجاه المغرب والجزائر وتونس وليبيا، وتصدت القوات العربية الليبية والتونسية والجزائرية

والمغربية لهذا الطوفان الجارف الذى يضم جميع الدول الأوروبية.

واشتركت ليبيا وتونس فى فتح صقلية وباليرمو ومجموعة من الجزر الإيطالية فى البحر المتوسط.

وكانت الخلافة الإسلامية فى تركيا، فاستنجد بها مسلمو شمال أفريقيا وقاموا بحملة لتحرير طرابلس من «فرسان القديس يوحنا»، ١٥٥١، ولما استقر لهم الحال زحفوا على تونس ومالطا والجزائر.

واستطاع العثمانيون أن ينشئوا فى تونس حكم «البايات» وفى الجزائر حكم «الدايات»، كانت جربه تتبع طرابلس وبها تستقر الكثير من العائلات الليبية وخاصة من الجبل الغربى، وتعتبر أحد مراكز المذهب الاباضى الذى يعم الجبل الغربى فى طرابلس وزواره ومنطقة بنى مزاب فى جنوب الجزائر.

وتصدت جربه لكثير من الحملات الأوروبية، وكانت تونس فى كثير من الحالات تنجد طرابلس بحملة عسكرية، أو بباخرة تموين من القمح فى احدى سنوات المجاعة.

وكان الليبيون كلما ضاقت بهم السبل أو الاضطرابات يلجأون إلى تونس وكذلك كانت تونس.

وعند صراع الأسرة القره مانليه على الحكم لجأ الكثير من الليبيين إلى تونس هروباً من الفوضى التى عمت البلاد وعدم الاستقرار الأمنى.

وعندما ضغطت تركيا على غومه المحمودى وتورته التى شملت مناطق غرب ليبيا، لجأ بقبيلته إلى منطقة «قبلّى» بالجنوب التونسى، حيث لا يزال مجموعات من المحاميد والحوامد يقيمون بهذه المنطقة وهم من اتباع غومه المحمودى فى ثورته.

كما استقر فى تونس مئات من الأسر الليبية من مختلف المناطق الذين وصلوها

فى ظروف مختلفة هروباً من القلاقل وهروباً من الجفاف والمجاعات، واندمجت هذه العائلات فى المجتمع التونسى وأصبح أولادهم تونسيون.

كما وصلت مئات من الأسر التونسية إلى ليبيا فى ظروف مختلفة واندمجوا فى المجتمع الليبى وأنت تسمع فى ليبيا أسماء العائلات التونسية، مثل عائلة الجربى والقابسى والقرقنى والعكارى والبنى يزيدى والتوزنى والودرنى وغيرهم.

كما تسمع فى تونس بأسماء العائلات الليبية مثل المصراتى والزوارى والصويعى والنايلى والعجيلى والورفلى والترهونى والورشفانى والعلاقى والبوسيفى وغيرهم.

كما برزت بعض الشخصيات التونسية من أصول ليبية، فالحبيب ابورقيبه هاجر جده من مدينة مصراتة وكذلك الباهى الادغم، وكثير من القيادات التونسية والشعراء والأدباء والفقهاء والعلماء من أصول ليبية تبوأوا مكانة عالية فى تونس، ويتواجد بتونس أكثر من ٢ مليون من أصول ليبية، فلقد وصل إلى ليبيا من الجزيرة العربية أيام الخلافة الإسلامية الأولى العشرة حفظة القرآن الذين نشروه فى الشمال الأفريقى، وانطلقوا من ليبيا.

وكان العالم على بن زياد الليبى الذى ذهب إلى المدينة المنورة وتشرب المذهب المالكى هو الذى نشره فى الشمال الأفريقى. ومن ضمنها تونس، وهو الذى عمل على إنشاء مسجد الزيتونة الذى أصبح جامعة إسلامية تخرج منها آلاف المسلمين فى شمال أفريقيا وغرب ووسط أفريقيا، وساهم العلماء المتخرجون من جامع الزيتونة فى نشر الإسلام وتثقيفه للمسلمين فى مختلف هذه المناطق.

هذا كما انتقلت الموسيقى، والغناء والألحان الليبية إلى تونس عن طريق المهاجرين، وكان اللحن المرزقاوى المنسوب إلى مرزق من أشهر الألحان التى انتقلت إلى تونس وبرز فنانون ليبيون في تونس أمثال بشير فهمي والفنان شاهين.

وحتى عندما تأسست الدولة الرستمية على أساس المذهب الاباضى فى الجبل الغربى وزواره، وبنى مزاب فى جنوب الجزائر، كانت جزيرة جربة ضمن هذه الدولة الاباضية، وقد أحضر هذا المذهب أربعة أشخاص، ثلاثة من جبل نفوسه، والرابع من غذامس.

إذاً.. الليبيون هم الذين أحضروا من العراق المذهب الاباضي.

وفى عام ١٨٨١، هاجمت فرنسا تونس واحتلتها بعد مناوشات قليلة من سكان الجنوب، ثم هاجرت هذه القبائل إلى ليبيا واستقرت بسهل الجفارة ويقدرها أستاذنا الكبير محمد المرزوقى بأنهم ٤٥٠٠٠ خمسة أوربعين ألف من المواطنين التونسيين، منهم زعماء ومشائخ وقيادات جهاد أمثال على بن خليفة الذى توفى بالزاوية، ومنصور الهوش الذى توفى بالجبل، بقيت هذه المجموعات حوالى السنة ثم رجعت إلى تونس، وبقيت منها مجموعة من العائلات رفضت العودة إلى تونس تحت الحكم الفرنسى منهم منصور الهوش والشيخ الأبيض.

وقد سعت فرنسا إلى زحزحة الحدود التونسية الليبية إلى داخل ليبيا، وضغطت على تركيا ودفعت مبالغ مالية كرشوة، الأمر الذى جعل الحكومة التركية توافق على زحزحة الحدود إلى داخل ليبيا، وتفقد ليبيا شريطاً بطول حوالى خمسمائة كيلو متر، وعرض حوالى خمسين كيلو متر، إذ انتقلت الحدود من بحيرة البيبان ووادى فسى وواد العشوش غربى الرمادة إلى رأس جدير والاحيمر ووازن التى دافع شيخها عبدالله بن عامر رافضاً ضمها لتونس، ثم اتجهت جنوباً إلى بئر المشيقيق غربى سيناون.

وبالتالى حازت أراضى كثيرة لقبائل الصيعان ووازن والنوائل وشكلت مجموعات من السباييس من قبائل الحدود لمهاجمة القبائل الليبية لترضخها لقبول الحدود الجديدة، وهكذا فى يوم ٥ مايو ١٩١٠ وقع ترسيم الحدود وقد تناول عبدالرحمن

التشايجى فى كتابه «المسألة التونسية» قصة زحزحة الحدود الليبية إلى الداخل.

وعندما زحفت إيطاليا على ليبيا عام ١٩١١، قامت مظاهرات فى تونس ضد الطليان، منها مظاهرة مقبرة الزلاج التى قتل فيها مجموعة كبيرة من المواطنين، ونزح آلاف الليبيين إلى تونس عام ١٩١٣ بعد معركة الأصابعة الشهيرة.

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى سعت تركيا وألمانيا على تشكيل جبهة ضد الحلفاء فى شمال أفريقيا، فضمت قيادات الجهاد الليبى والتونسى والجزائري سليمان البارونى ومن معه من الليبيين وعلى باش حامبه من التونسيين وأسسوا «جمهورية شمال أفريقيا»، واعترفت بها ألمانيا وتركيا والنمسا واتفقوا على أن يشعلوا الثورة مجتمعين وفى وقت واحد.

واستغلوا ثورة الجنوب الليبى وهزيمة الطليان واندحاره ولجوئه إلى المدن الساحلية، وثورة خليفة بن عسكر فى نالوت، والذى لجأ أواخر عام ١٩١٤ مع أغلب عائلات نالوت إلى منطقة «قبلّى» بالجنوب التونسى.

هنا ثار الجنوب التونسى، والتحمو ا مع ثورة خليفة بن عسكر الذى طهر الجبل من الإيطاليين، فالتحقت به مئات العائلات التونسية ومجموعة كبيرة من المجاهدين، فهاجموا الفرنسيين فى ذهيبة وفى الرمادة بقيادة خليفة بن عسكر وسقط عشرات الشهداء فى الرمادة وذهيبة ووازن وام اصويغ فى السنوات ١٩١٥-١٩١٦-١٩١٧.

وفى هذا العام وقع شبه صلح مع الفرنسيين فى إيقاف الهجوم عليهم، وأطلقوا سراح عائلات نالوت المحتجزة فى «قبلّى» من قبل الفرنسيين، وبقى البعض منهم بتونس أمثال عائلة الأديب الكبير الحبيب شيبوب.

وبقيت الكثير من العائلات التونسية مع الليبيين والكثيرين المجاهدين وقاتلوا

الطليان مع الليبيين جنباً لجنب واستشهد منهم الكثيرون أمثال خليفة ورده والشيخ سعيد الدبابى وأخوه على الدبابى وابن عمه بن عزوز الدبابى.

وواصل الكثيرون منهم الجهاد امثال ضو بن ضيف الله الذى وصل إلى فزان، وشريوط وبلاعو الذى هاجر مع الليبيين إلى مصر، وعمر الغول الذى استشهد قرب غذامس، وغيرهم كثيرون، أما محمد الدغباجى الرجل المشهور فلقد قبض عليه الإيطاليون مع خليفة بن عسكر عام ١٩٢٢ وسلموه إلى الفرنسيين الذين أعدموه فى بلدته الحامه بعد أن أحضروا لمشاهدة الإعدام مئات الرجال والنساء من منطقته.

وقد زغردت زوجة أبيه عندما أطلقوا عليه النار وأعدم الإيطاليون خليفة بن عسكر فى الزاوية شنقاً سنة ١٩٢٣ مع عشرات من المجاهدين الليبيين.

وبعد أن سيطر الإيطاليون على ليبيا عام ١٩٣١، هاجر آلاف الليبيين إلى تونس وبعضهم وصلها عن طريق الجزائر، بعدما قاسوا ويلات الجوع وقتل المئات منهم من العطش.

الليبيون استقبلتهم شركات استخراج الفوسفات الفرنسية وشغلتهم بأجور زهيدة، ودون تأمين على حياتهم وكثيراً ما ينهار الجبل على العمال ويقتلهم، ويحكى أن فى إحدى هذه المرات انهار الجبل على خمسمائة ليبى كانوا يعملون داخل الغار ذلك الوقت.

كما اشتغل الليبيون فى الزراعة وغرس أشجار الزيتون والفلاحة والرعى، وتطوع المئات منهم فى الجيش الفرنسى حيث خاضت فرنسا بهم الحرب العالمية الثانية وجعلوها تنهض من كبوتها بعد سقوطها تحت جنازر الدبابات الألمانية وقتل مئات الليبيين فى أوروبا والمغرب والهند الصينية، حيث لا ناقة لهم فى هذه الحرب ولا جمل.

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ الحراك السياسى التونسى والليبى مطالبين

بالاستقلال، وكان على رأس السياسيين المطالبين بالاستقلال لتونس، الزعيم الحبيب بن على ابورقيبه الطرابلسى والذى تم سجنه عدة مرات فى تونس، ثم ذهب مختفياً عن طريق ليبيا حيث احتضنه الليبيون وأكرموه وجعلوه يصل إلى القاهرة سالماً معافى، ليرفع مطالب تونس فى الاستقلال ويؤسس مع المجاهد عبدالكريم الخطابى مكتب المغربى العربى.

واستطاعت ليبيا أن تعلن استقلالها فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥٢ وأعلنت تونس والمغرب والجزائر الثورة ضد الفرنسيين سنة ١٩٥٤، وقام الليبيون بواجبهم تجاه الأخوة التونسيين والأخوة الجزائريين.

وتشكلت مجموعات من الليبيين ندعم الثورة التونسية ومدها بالسلاح، غير أن فرنسا شعرت بخطر الانفجار الكبير ضدها فى الشمال الأفريقى، فأرجعت ملك المغرب محمد الخامس من المنفى وأوقفت ثورة المغرب، كما اتفقت مع الحبيب بورقيبه على منح تونس الاستقلال الداخلى، وإلقاء السلاح، ووافق بورقيبه على ذلك أمام نظريته خذ وطالب.

ورفض مجموعة من التونسيين ذلك واعتبروه غدراً لأخوتهم الجزائريين وعلى رأس هؤلاء المناضل صالح بن يوسف الذى حاول مواصلة الجهاد ولكن الفرنسيين والتونسيين الذين هم مع ابورقيبه حاربوه، وتم اخراجه من تونس ولجأ إلى ليبيا مع مجموعة من أنصاره، ثم انتقل إلى مصر ومنها زار ألمانيا فتم اغتياله فيها بتدبير من ابى رقيبه.

وكانت العلاقات بين ليبيا المملكة، وتونس الجمهورية هادئة وتسير على وتيرة هادئة لا توجد فيها أى مفاجآت، باستثناء زيارة أبورقيبه للقدس وتصريحه للعرب بأن يعترفوا بإسرائيل ويرضوا بحدود ١٩٤٨ التى خططتها الأمم المتحدة، فقامت مظاهرات ضد بورقيبه فى جميع الوطن العربى تسفهه، وهاجمه صوت العرب الذى له

تأثير كبير على ليبيا، فاتخذ الليبيون موقفاً من بورقيبه، وحتى عندما طلب زيارة ليبيا حملوه إلى الاصابعة بعيداً عن المدينة طرابلس وأجروا له استقبالاً هناك، واستمر الإعلام المصرى والإعلام التونسى يتبادلاً الشتائم إلى أن صارت معركة «بنزرت» عندما طلب ابورقيبه من الجمهور التونسى أن يزحف سلمياً فى مظاهرة باتجاه القاعدة الفرنسية فى مدينة بنزرت، واستقبلها الفرنسيون بالرصاص وقتلوا مئات التونسيين العزل.

هنا أعلن عبدالناصر أنه يؤيد ابورقيبه ويقف مع الشعب التونسى، وبعد انتهاء الأزمة بخروج فرنسا زار عبدالناصر تونس وبذلك انتهت المعركة الإعلامية بين البلدين.

غير أن الليبيين كانوا منحازين للرئيس عبدالناصر ضد ابورقيبة والذى كان يطرح وحدة المغرب العربى، والليبيون يحبذون الوحدة العربية مغربها ومشرقها.

***

ما إن قامت ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ حتى ناصبها الرئيس بورقيبه العداء، وهو مخافة أن تنتقل إلى تونس، فكان ينتقص القذافى وينتقص ثورة ليبيا.

وحاول القذافى أن يمتص غضب تونس بكثرة الزيارات لها، وبالحديث اللين، وبالتذكير بالعلاقات التاريخية بين البلدين.

ودعا الرئيس التونسى لزيارة ليبيا وفى إقامته بالفندق بطرابلس، قفز خارجاً من جناحه وهو يصيح أن هناك لغماً تحت سريره، وجاءت المراسم وتبين أن هناك محول كهربائى لجهاز التليفزيون الموجود فى الجناح، وأمر العقيد القذافى بتنصيل المحول ومنحه للأمن التونسى ليتم تحليله فى تونس.

وهذا يدل على الوسواس الذى يختلج فى قلب ابورقيبه من ليبيا.

وحاول القذافى جاهداً أن يدعم تونس ويسمح للتونسيين بالعمل فى ليبيا، وأن

يشتروا بضائعهم من ليبيا، تلك البضائع المدعومة، وان يتنقلوا بحيواناتهم للرعى فى ليبيا متى سقط المطر فيها دون أى حائل.

وكان القذافى يدعو تونس للوحدة العربية وهاجم الرئيس بورقيبه القذافى والوحدة العربية، فى لقاء للقذافى مع مجلس الأمة التونسى حدثهم فيه عن الوحدة العربية وضرورة قيامها.

وعندما تم اكتشاف النفط فى الجرف القارى الليبى القريب من الحدود التونسية، ادعت تونس أن الاكتشاف يتم فى أراضيها وحتى لا يثير القذافى مع تونس المشاكل حول الموضوع لمحكمة العدل الدولية، التى أقرت بأن الحقل فى الجرف القارى الليبى.

واعترفت تونس بالقرار ومع ذلك رأى القذافى دعم تونس وقرر اقتسام الحقل بين ليبيا وتونس، هبة من ليبيا ومساعدة إلى تونس.

وبدأت ليبيا تلطف العلاقات على نار هادئة، وكان السيد محمد المصمودى، وزير الخارجية التونسى يدعم التقارب ويعمل من أجله.

وأخيراً.. أعلن الطرفان الليبى والتونسى الوحدة فى اجتماع ضم الحبيب بورقيبه ومعمر القذافى على أن يكون بورقيبه الرئيس لهذه الوحدة والقذافى نائباً له ووزيراً للدفاع وذلك بجزيرة جربة.

وكانت الحكومة التى اقترحتها ليبيا وتونس لإدارة الوحدة تضم من بينها زين العابدين بن على لشئون الأمن، وتم اختياره من قبل ليبيا، الأمر الذى أدخل الشك فى قلوب التونسيين فأبعدوا زين العابدين إلى الخارج.

غير أن الجزائر هاجمت هذه الوحدة، وقال هوارى بومدين «إن الجزائر لا تلحق بالقطار وهو يسير»، وحرك الجيش الجزائرى على الحدود التونسية وهدد تونس التى

أعلنت تخليها عن الوحدة فى اليوم الثانى ولم تكن فرنسا ببعيدة عن المشهد.

وصار ابورقيبه يطالب بالورقة التى تم توقيعها من قبل الرئيسين، وصار مطلب الورقة من أولويات تونس، وقد سافر العقيد القذافى إلى تونس وسلم الورقة للرئيس بورقيبه الذى فرح بها كثيراً.

وكان رئيس وزراء تونس الهادى نويره، ضد التقارب الليبى التونسى، وقد أقنع رجال الدولة أن بورقيبه عندما يموت من حق القذافى أن يستولى على تونس بحكم القانون، فهو بحكم الاتفاقية نائب الرئيس.

وعندما توترت العلاقات مع السادات الرئيس المصرى عند ذهابه إلى القدس، وزيارته لمجلس البرلمان الإسرائيلى، واستغلت أمريكا الموقف وأقنعت السادات بأن القذافى ينصب صواريخ فى بلدة الجغبوب ليهدم بها السد العالى.

تحرك السادات بقواته لمحاربة ليبيا وأقنعته أمريكا بأن يضم برقة إلى مصر.

كما وصل وزير تونس للتنسيق مع السادات لمهاجمة ليبيا من الغرب، كما أن الليبيون بدأوا يشتغلون ضد بورقيبه فى تونس وعملوا بمساعدة الجزائريين على تفجير ثورة قفصه ضد بورقيبه وحكومته، واستطاع الثوار أن يسيطروا على مدينة قفصة واستنجدت تونس بفرنسا التى دعمتها بالقوات الخاصة من الجيش الفرنسى وسحقت الثورة فى اليوم الثاني، وقتلت مجموعة الثوار، وقبضت على مجموعة منهم وتم إعدامهم وعلى رأسهم قائد المجموعة أحمد المرغنى وأصيب الهادى نويره بجلطة أخرجته من الحكم.

وقطعت تونس علاقاتها مع ليبيا، وطردت ليبيا العمالة التونسية المتواجدة بليبيا، الأمر الذى شنت بسببه تونس حملة إعلامية ضد القذافى وحكومته، وصارت تلتقى بالعمال المطرودين من ليبيا وتلقنهم أقوالاً ضد ليبيا، منها أن أموالهم التى عندهم

أخذها الليبيون، وحاولت الجزائر فيما بعد التوسط لحل المشكل.

وطالب التونسيون بـ«٨٠» مليون دولار أجرة العمالة، وهو مبلغ مُبالغ فيه. وان العمال كانوا يشتغلون فى القطاع الخاص واستلموا مستحقاتهم عند خروجهم

وأعلن القذافى أن الجزائر الوسيط يمكنها تقدير المبلغ، الأمر الذى رضيت به تونس فيما بعد وقدرت الجزائر المبلغ بـ«١٠» عشرة ملايين دولار تم تسليمها لتونس.

وهدأت العلاقات كما ساهم أمير الكويت فى تهدئة الوضع بين الجارتين الشقيقتين، واستمرت العلاقات بين رخو وشد بين الدولتين طيلة حكم الرئيس الحبيب بورقيبه الذى صار متقدماً فى السن، وأصبحت زوجته وسيله بن عمار تدير دفة الحكم ولها اتباع داخل الحكم.

وأمام التيارات المتصارعة حاول بورقيبه أن يقرب ابنة أخته سعيدة الساسى لإدارة أعماله ولم يعجب هذا وسيله التى تركت ابورقيبه والقصر والمسرح السياسى، وهنا تدخل زين العابدين بن على وازاح ابورقيبه عن الحكم بكل هدوء، وسيطر على مقاليد الحكم.

وصل زين العابدين إلى الحكم فى تونس وعامل ابورقيبه معاملة حسنة، إذ أبقاه فى منزله دون أن يمسه أذى.

وللحقيقة والتاريخ أن جيل الرؤساء العرب الذين حكموا بلدانهم فى الخمسينات والستينات من القرن الماضى كانوا نظاف اليد، وعلى مستوى راقى من الأخلاق ونظافة اليد وعدم الانهماك فى العبث بالمال العام.

هكذا كان عبدالناصر، وادريس السنوسي وهوارى بومدين وابورقيبة الذى كان لا يملك بيتاً فى تونس، ولا يملك رصيداً فى المصرف، وأنا هنا لا أتحدث عن انتماءاتهم أو سياستهم، وإنما عن نظافة أياديهم وكذلك مختار داداه.

وقال العقيد القذافى عن زين العابدين إنه نجم شمال أفريقيا، ومع الأسف أيضاً

قالها عن شيخ قطر أحمد خليفة عندما أزاح والده من الحكم.

وشهدت العلاقات الليبية التونسية فترة ازدهار وأنشأ العقيد القذافى فى زياراته المتكررة إلى تونس مئات البيوت لمواطنين تونسيين كانوا يقطنون الأكواخ وساعد تونس وصار التنقل بالبطاقة الشخصية.

واشتركت تونس فى ليبيا فى اجتماعات ٥+٥.

والتونسيون يشترون بضائعهم من الأسواق الليبية وتم تخفيف الجمارك بين البلدين، وفى حماس للعقيد القذافى قام بتحطيم بوابة الحدود الليبية، كما فعلها مع مصر، إلى أن تفجرت الأوضاع فى تونس وخرج زين العابدين إلى السعودية، وقال القذافى خطابه الذى نصح فيه التونسيين إن لا داعى لهذه الفوضى والحرائق، والقتل فى سبيل إنهاء خدمة رجل انتخبتموه، دعوه يكمل مدته القريبة ويترك الحكم بدون قتال وبدون خسائر، واتصل زين العابدين بى يطلبنى والتقيت به ثلاث مرات فى جدة بأوامر العقيد القذافى. أوردت تفاصيل لقاءاتي به في كتاب (القذافي وأنا وابن علي)

واعتبر التونسيون هذا ضد حريتهم وضد ثورتهم وهاجموا العقيد القذافى.

تونس واحداث ٢٠١١

وعندما انتقلت العدوى إلى ليبيا، وقفت تونس بوابة جهنم لتمرير الأسلحة والمرتزقة، التى تجندهم قطر وانخرط آلاف التونسيين فى القتال ضد ليبيا رفقة الناتو وأصبح الجيش التونسى حارساً لشحنات الأسلحة التى تصل من قطر والإمارات وفرنسا وبريطانيا إلى الموانئ التونسية وصار الجيش التونسى يحمى هذه الشحنات لتوصيلها إلى المنافذ الليبية وعلى رأسه قائده رشيد بن عمار.

واستقبلت تونس مخيمات القطريين التى أشادوها للمعارضين الليبيين وجلبوا

لقد ساهمت تونس بالقدر الكبير فى الإساءة إلى ليبيا وإلى الشعب الليبى، ذلك الشعب الذى احتضن أكثر من مليون تونسى عامل، والذى دعم الشعب التونسى بكل ما يملك طيلة عشرات السنين، وساعد الغنوشى فى مهجره ودعمه.

غير أن الشعب التونسى وخاصة رجال الجنوب كانوا يرفضون هذه المهزلة التى وقعت فيها حكومتهم وجيشهم والتى تلقت ملايين الدولارات رشاوى وثمن ذمة من أجل تحطيم دولة جارة، وشعب صديق، وقامت بتسليم بعض اللاجئين لها مقابل مبالغ مالية وعلى رأسهم الدكتور البغدادى رئيس الوزراء الليبى.

واليوم تحصد تونس ما بذرته، فالفوضى العارمة فى بلادها واختلال الأمن، والمشاكل الحدودية، التى لا تنفك تقفل اخدود بدون مبررات وتعود للقفل بعد فتحها.

ولم يعد التونسيون يشترون ضرورياتهم من أسواق ليبيا فالغلاء الفاحش لم يعد يناسبهم ويناسب حالتهم المادية والعمالة لم تستطع أن تجد موطأ قدم لها فى ليبيا الفوضى وبذلك خسرت تونس ليبيا، وإلى سنوات طويلة قادمة وكذلك الأمن والاستقرار إذ صارت المجموعات المتطرفة التى جاءت من تونس إلى ليبيا تعود إليها وتعبث بأمنها مما جعلها تحفر خندقاً على طول مائتى كيلو متر على الحدود بينها وبين ليبيا لتدرأ الخطر عنها.. ولم تفلح.

واتخذت من الأراضى التونسية قاعدة للطيران الأمريكى ليتحرك فى المنطقة بمسافات أقرب.